OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

صورة المجتمع في قصص يوسف إدريس ومحمد عباس
(دراسة مقارنة خلال النماذج المختارة)

A picture of society in the stories of Youssef Idris and Muhammad Abbas
(A Comparative study of selected works)

۞ **د. روبينة ناز**

محاضرة في كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.

۞۞ **د. قديرة سليم**

أستاذة مساعدة بكلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.

Abstract

The story is one of the most important literary genres as it is considered a modern art that has its own elements, ingredients and characteristics that distinguish it from other literary arts. It is anecdotal text associated with various social and historical interactions. It has received great attention from writers and critics. The short story presents a single event often accruing with a short period of time and a limited place to show aspect of life to advocate for social reform.

Yousef Idris and Muhammad Abbas are famous short story writers in Arabic and Urdu Literature respectively and are considered the most innovators in their art.

Their stories depict the aspect of the deprivation, oppression, and poverty of the impoverished, lower classes versus the upper classes that live a luxurious life, and also these stories are an artistic composition that corresponds to a set of values, ideas, attitudes, and situations. Moreover, their style is realistic and focuses on the issues and problems of the Egyptian and Indian society in the countryside and in the city and advocate to rid man from these problems, and they come with scientific solutions on the level of form and content, as well as their style in these stories is characterized by a tendency to simplicity and intimacy and a tendency to brevity and focus and distinctive expression and away from digression and economy in the description in addition to employing a set of graphic images.

Their stories highlight contradictions and conflicts between different social classes and differences of social values and ideas. Both authors attempt to evoke them and interact with their manifestations and subtleties for a future outlook that seeks to reform their reality.

This study attempts to make a comparison between their stories on the basis of the American School of criticism using the structural trend to discover the literary interactions and the aesthetic secrets of the two literary works, and compare them from a purely literary perspective.
For our research, we chose the analytical and comparative descriptive approach. First we will account for the origin and development of Urdu and Arabic Short Story. Then we will survey the depiction of the social issues by Yousef and Abbas and will make a comparison of some of the selected short stories of both writers. At the end we will conclude the study by considering the findings and results.
Keywords: Short story, social issues, Youssef Idris, and Muhammad Abbas, a comparative study.

المقدمة:

تعد القصة من أهم الأجناس الأدبية، فهي تعتبر فنا حديثا قائم بذاته ،لها عناصرها ومقوماتها وخصائصها التي تميزها عن غيرها من الفنون الأدبية الأخرى. وهي نص قصصي ارتبطت بالتفاعلات الاجتماعية والتاريخية المختلفة. ولقد حظيت بالاهتمام الكبير من الأدباء والنقاد، وتهدف إلى تقديم حدث وحيد غالبا ضمن مدة زمنية قصيرة ، ومكان محدود غالبا للتعبير عن موقف أو جانب من جوانب الحياة، وتتوجه بشكل مباشر إلى الإصلاح الاجتماعي.

ويعتبر يوسف إدريس من أشهر كتاب القصة القصيرة في الأدب العربي، ومن أشهر المجددين في فنونها، وكذلك محمد عباس في الأدب الأردي، وتميزت قصصهما بالحديث عن شخصيات مهمشة في المجتمع المصري والهندي ،وهذه الشخصيات تتمثل في الفلاحين والفقراء والعاملين والموظفين الصغار والأطفال والمراهقين.

وتصور هذه القصص جانباً من جوانب الحرمان والقهر والفقر الذي تعيشه الطبقات الفقيرة المطحونة في مقابل الطبقات الميسورة التي تعيش حياة الرفاهية، وكذلك هذه القصص هي تركيب فني تتقابل مجموعة من القيم والأفكار والمواقف والوضعيات. وأسلوبهما يتسم بالواقعية ويهتمان بقضايا ومشكلات المجتمع المصري والهندي في الريف وفي المدينة، ويحرصان لتخلص الإنسان من هذه المشكلات، ويأتيان بحلول علمية على مستوى الشكل والمضمون، وكذلك يتميز أسلوبهما في هذه القصص بالنزوع إلى البساطة والإيحاء والميل إلى الإيجاز والتركيز والتعبير المميز والبعد عن الاستطراد والاقتصاد في الوصف، بالإضافة إلى توظيف مجموعة من الصور البيانية. وقصصهما تشير إلى

التناقضات والصراعات بين طبقات اجتماعية مختلفة ومتفاوتة في القيم والأفكار، وحاول الكاتبان استحضارها والتفاعل مع مظاهرها وخفاياها من أجل نظرة مستقبلية تسعى إلى إصلاح واقعها.

تحاول هذه الدراسة إجراء المقارنة بين قصص الكاتبين على أساس المدرسة النقدية الأمريكية، مستعينة بالاتجاه البنيوي لتكتشف بذلك التفاعلات الأدبية والأسرار الجمالية للعملين الأدبيين، وتقارن بينهما من منظور أدبي بحت.

واخترنا لبحثنا المنهج الوصفي التحليلي والمقارن. سنفتح المدخل بنشأة القصة العربية والأردية وأهم عناصرها، وسيجيء المبحث الأول تحت عنوان القضايا الاجتماعية عند يوسف إدريس ومحمد عباس ومعالجتها، والمبحث الثاني سيأتي كدراسة مقارنة بين بعض القصص للكاتبين، أما الخاتمة فقد تتضمن مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية: قصة قصيرة، صورة المجتمع، القضايا الاجتماعية، يوسف إدريس ومحمد عباس، دراسة مقارنة.

مفهوم القصة القصيرة

لغة: وقد ورد في لسان العرب "القصة" الخبر وهو الَقَّصصُ، وَقص علَي خبره يقصه قصا وقصصا أورده والقصص: الخبر المقصوص بكسرالقاف: جمع القصة التي تكتب وتقصص كلامه حفظه: وتقصص الخبر:تتبعه والقصة: الأمر والحديث واقتصصت الحديث: رويته على وجهه وقص عليه الخبر قصصا، والقص البيان، والقصص بالفتح الاسم والقاص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها"[1].

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي معان كثيرة لكلمة "قص" متفقة في معظمها مع ما ورد في لسان العرب المحيط، ومنها:(قص أثره قصاً وقصيصاً تتبعه، والخبر أعلمه، [فارتدا على آثارهما، قصصاً] أي رجعا من الطريق الذي سلكاه)[2].

وجاءت لفظة "قص" في دائرة المعارف لفؤاد أفرام البستاني بهذا المعنى تتبع وتقصي أخبار الناس وفعالهم شيئاً بعد شيء، أو حادثة بعد حادثة[3].

اصطلاحا: هي نوع أدبي وتكون عبارة عن سرد حكاية نثري بشكل أقصر من الرواية، بحيث تهدف إلى تقديم حدث وحيد ضمن مدة زمنية قصيرة ومكان محدد، لكي تعبر عن جانب من جوانب الحياة، كما يقول عبد الله الركيبي "هي التي تعبر عن موقف أو لحظة معينة من الزمن في حياة الإنسان،

ويكون الهدف التعبيري عن تجربة إنسانية تقنعها بمكان وقوعها وتصوير حي لجانب من الحياة في إيجاز وتركيز"[4].

نشأة وتطور القصة القصيرة

تعد القصة القصيرة من الأجناس الأدبية التي تخضع للتغيير والتطوير والاستمرار. وعلى الرغم من كونها حديثة العهد، فقد يرى بعض الباحثين بأن جذورها تمتدّ إلى تراثنا القصصي القديم، وبالخصوص إلى عصر المقامة، لتشابههما من حيث الشكل ولتقاربهما في بعض الخصائص والملامح والتقنيات الفنية والجمالية.

ورث العرب تراثا أسطوريا خرافيا فرضته حياة الصحراء الزاخرة بأشكال التعبير التي تُلائم الطبيعة القاسية المحدودة في بداية الأمر. ولما اتسعت مجالات الحياة، انفتح العرب على ألوان شتى من المعارف والتجارب الإنسانية مما أفسح المجال لعالم الواقع الممزوج بالخيال[5] .

ولعلنا إذا رجعنا إلى القرن السادس الميلادي نُدرك بأن الشعر لم يكن يمثل ثقافة العالم العربي كلها، فقد نما إلى جانبه أدب شفهي كان يُساعده نمط الحياة، وإذا استندنا إلى الوقائع العصرية وجدنا بأن حفلات السمر أسهمت منذ ذلك العهد بالحكايات التي كانت تُحكى بالإضافة إلى قصص القرآن الكريم التي انبهر إبقاء حماسة موروثة القصص والأساطير ، وكان الغرض منها الاعتبار والتقوى مما دفع الكثيرين إلى القول بنظرية انحدار القصص القصيرة من أصلاب التراث العربي القديم، ولعل من بنية المقامات العربية، وقصص النوادر، وحكايات البخلاء [6].

وقد اعتبر شكري محمد عياد أخبار البخلاء للجاحظ من قصة قصيرة، وبعد الجاحظ بنحو قرن من الزمان ظهر لون أدبي يمكننا أن نسميه قصة قصيرة، هذا اللون هو المقامة التي أصلها بديع الزمان الهمداني، ثم جاء الحريري بعده بنحو قرن آخر ونسج على منواله، فشبهه بالقصة القصيرة لأنّه كان شأن في تطوير القصة العربية والعبور بها إلى القصة الحديثة.

وعلى الرغم مما تحمله هذه الأفكار من اعتزاز وتنويه بتراثنا القصصي العربي الأصيل فإنها تنطلق من مجموعة من المسلمات التي تحتاج إلى كثير من التأمل، والتمحيص والدقة في تحديد المصطلح العلمي للجنس الأدبي الذي يتميز بخاصية يتفرد بها عن بقية الأجناس الأدبية الأخرى. إذ لا ننكر إطلاقا

اختلاف خصائصهما الأسلوبية على الرغم من كونهما نتاج مجالس وأندية ترفيهية. كما أنه لا يمكننا أن نتجاهل أيضا مدى التأثير والتأثر بين مختلف الآداب العالمية، على الرغم من اختلاف الألسنة، وأساليب الواقع والحياة عامة. فلشدة اعتناء الأدباء والنقاد بها إبداعا ونقدا اكتسب هذا النمط الأدبي شهرة واسعة النطاق لقدرته على طرح أعقد الرؤى، وأخصب القضايا بفضل التركيز والتكثيف في استخدام الدلالات اللغوية المناسبة لطبيعة القص وحركية السرد ومستويات الحوار، ومظاهر الحقيقة والخيال، بالإضافة إلى التقنيات الفنية المتميزة والمعطيات الجمالية المحكمة[7].

القضايا الاجتماعية عند يوسف إدريس

نبذة عن حياة الكاتب

ولد يوسف إدريس في ١٩٢٧م في شهر مايو. كان والده متخصصا في استصلاح الأراضي لذلك فهو كان متأثراً بكثرة تنقل والده وعاش بعيدا عن المدينة مع جدته، وقد اجتذبته الكيمياء والعلوم فقد آراد أن يكون طبيبا.[8] خلال دراسته اشترك في مظاهرات كثيرة ضد المستعمرين البريطانيين، وأخذ نشر المجلات الثورية وسجن وأبعد عن الدراسة عدة أشهر، كما خلال دراسته للطب حاول كتابة قصته القصيرة الأولى التي نالت شهرة بين زملائه. حاول ممارسة الطب النفساني وعمل كطبيب بالقصر العيني. سافر عدة مرات خارج العالم العربي وزار كلاً من فرنسا،إنجلترا، أمريكا، يابان و بلا جنوب شرق آسيا. منذ سنوات الدراسة الجامعية وهو يحاول نشر كتاباته، وبدأت قصصه القصيرة تظهر في مصر، فقد ظهرت مجموعته "أرخص ليالي" عام ١٩٥٤م. بالإضافة إلي ذلك واصل مهنة الطب حتى ١٩٦٠م إلى أن انسحب منها وعين محرراً بجريدة الجمهورية وقام بأسفار في العالم العربي.

في١٩٦١م انضم إلى المناضلين الجزائريين في الجبال وحارب معارك استقلالهم ستة أشهر وأصيب بجرح وأهداه الجزائريون وساماً إعراباً عن تقديرهم لجهوده في سبيلهم وعاد إلى مصر، وقد صار صحفياً معترفاً به حيث نشر روايات قصصية، وقصصاً قصيرة، ومسرحيات. وفي ١٩٦٣م حصل على وسام الجمهورية واعترف به ككاتب من أهم كتّاب عصره[9].

مكانته الأدبية وأسلوبه

قدم يوسف إدريس خلال رحلة إبداعه العديد من الأعمال الإبداعية والمؤسسة والرفيعة، خاصة في مجال القصة القصيرة. وكان القاص أكثر الكتاب ارتباطاً بالشارع والمجتمع، واهتم في أعماله بحياة

البسطاء والمهمشين الذين يصنعون تفاصيل الحياة اليومية. قد أثني علي مجموعته الأولى " أرخص ليالي" الدكتور طه حسين مقارنا بالمجموعته الثانية، فيقول: "لم أجد فيه من المتعة والقوة ودقة الحس، ورقة الذوق وصدق الملاحظة وبراعة الأداء مثل ما وجدت في كتابه الأول" أرخص الليالي" على تعمق للحياة ووفقه لدقائقها وتسجيل صارم لما يحدث فيها".

قد تميزت القصة عند يوسف إدريس بالواقعية، حيث أخذ يصور الحياة اليومية ولا سيما للمهمشين من طبقات المجتمع، كما أنّه جنح إلى استخدام العامية في قصصه، وإلى استخدام لغة سهلة بسيطة، حيث كان يرى أن الفصحى لا يمكن أن تعبر عن توجهات الشعب وطموحاته، كما أنّ الحوار يعد ركنا هاما من أركان القصة. ولعل في الظروف التي كان يعيشها الشعب المصري حينها، وضغط الفقر والحرمان من أبسط حقوقه الإنسانية ما يفسر اتجاه إدريس نحو هذا النوع من الأبطال في قصصه. وأكد الكاتب والأديب الكبير يوسف شاروني أنّه أدخل نوعا من التجديد والحيوية على أدب القصة القصيرة. فكان رائداً لمدرسة أدبية تجريبية باتت تعرف باسمه وهي المدرسة التعبيرية، من جهته وأكد الكاتب والناقد أحمد الخميسي أنّه أبو القصة المصرية القصيرة بدون منازع[10] .

قد قدمت أعمال يوسف إدريس وعيا مختلفاً عن كل من كتبوا القصة القصيرة قبله، فقد كتب عن الطالب والموظف والفلاح والعامل والمثقف والمقاتل والطبيب والمهندس والنساء والرجال، لا نبالغ إذ نقول بأنّ الفلاح المصري قبل إدريس لم يدخل الأدب.

كما أثنى عليه إبراهيم عبد المجيد الأديب الكبير قائلا: بأنّ يوسف إدريس علامة في الثقافة العربية وأنّ موهبته كبيرة جدا، وقد جعل فن القصة القصيرة قريبا من الناس في أول خمسينات القرن الماضي، وجعل لنفسه كيانا مستقلا في قلب الحياة الأدبية. وفي النهاية نستطيع أن نقول بأن يوسف إدريس نجح في مقاربة قضايا إشكالية بفنية عالية، حيث شخصية الفنان لا تنفصل عن إبداعه، فلذلك تأثرت كتابة يوسف إدريس بجرأته الشديدة، فنجد تعامله بجرأة مع اللغة واستخرج طاقات هائلة من العامية التي سببت لنجاحه فيما أسهم قلمه بكل الطاقة الفنية. فالآن نأتي إلي الدراسة التحليلية للقصص المختارة، فاخترنا القصتين نموذجاً:

١- تحليل القصة "نظرة"[11]

تدور أحداث هذه القصة حول طفلة صغيرة وهي خادمة شاهدها الكاتب عائدة من الفرن، تحمل فوق رأسها حملا معقدا يكاد يقع منها رغم قبضتها القوية عليه، فطلبت من الكاتب أن يضبط ما تحمله على رأسها، فساعدها ثم أكملت طريقها ، ولكنه سرعان ما التفت الكاتب بنظرته إلى الطفلة وهي تكمل سيرها وسط الزحام والازدحام الذي يملأ الشارع والفضاء، ثم تقف الطفلة فجأة لتتأمل مشهد سلب جل اهتمامها بنظرة طويلة حالمة، بعد رؤيتها لمجموعة من الأطفال يلعبون الكرة فيما بينهم.

وتصور هذه القصة جانب من جوانب الحرمان والقهر والفقر الذي تعيشه الطبقات الفقيرة المطحونة اجتماعيا والتي تجسدها الطفلة، في مقابل الطبقات الميسورة التي تعيش حياة الرفاهية، التي تجسدت في القصة من خلال صورة الأطفال وهم يلعبون فيما بينهم الكرة وهنا تكمن المفارقة السردية التي تخلق ذلك التوتر الحكائي الناتج عن صراع وتقابل ثنائي بين عالمين متناقضين. جسده الكاتب في قالب قصصي جمالي يعكس مجموعة من الأبعاد الإنسانية التي تنجلي في هذا الأفق التخييلي.

إن قصة " نظرة" هي تركيب فني تتقابل مجموعة من القيم والأفكار والمواقف والوضعيات، إذا كانت الطفلة ترصد تلك الاختلالات التي تجتاح البنية المجتمعية من خلال ذلك التفاوت الطبقي الشاسع بين الطبقات الفقيرة والميسورة، ويعكس الكاتب هذا التعارض بمعجم لغوي قصصي يستند إلى مجموعة من الثنائيات: الفقر، والغني، العمل اللعب، والصغر، والكبر وغير ذلك.

وقد مثل الكاتب دور الشاهد المراقب للأوضاع الذي يحاول تعديلها وخلق التوازن الذي يكسر ذلك الاختلال التخييلي في عناصرها، ويتجلى ذلك بوضوح في محاولته لتعديل الحمل الغير الثابت الذي كانت تحمله الطفلة، وإصراره على مراقبة وضعيتها ومسارها، فاذا كانت الطفلة تحمل ذلك الحمل الثقيل الذي يوحي إلى حمل الظلم والأسى والفقر في مجتمع طبقي لا يعرف الرحمة والشفقة لهؤلاء الأطفال المساكين.

أما شخصيات هذه القصة فهي تعكس التباين والتعارض والتوتر في المجتمع، كما انتقى الكاتب شخصيات عمله من تلك الطبقة السفلى التي تواجه صراعا دائما من أجل إثبات وجودها وابراز مكانتها في مجتمع لا يرحم حضورها وقيمتها.

فالشخصية الأساسية لهذا العمل الطفلة، هي قيمة دلالية وعلامة إيحائية تكشف معالم الفقر والقهر والمعاناة التي تعانيها الطبقات الكادحة في صراعها مع مظاهر الظلم والاستغلال، ويظهر ذلك جليا من الأصناف التي يصورها لنا الكاتب في القصة من خلال تلك الطفلة البريئة الصامتة المستسلمة لقدرها الخاضعة لأوامر سيدتها، الخائفة والمرتعدة من نظرة المجتمع إليها، وتهديد العقاب التي ينتظرها في حالة عدم إنجازها لعمل سيدتها، يبرز ذلك من خلال هذه الجمل: "الطفلة الصغيرة الحَيرى – زيادة في الاطمئنان – نصحتها أن تعود إلى الفرن ...، انتظرت قليلا لتتأكد من قبضتها لم تلتقط أذني منه إلا كلمة ستي وغير ذلك....

وقد وظف يوسف إدريس في قصته هذه، فضاء الحارة باعتباره فضاء مفتوحا، مولدا لتوترات الأحداث ومنشأ لتصادم الرغبات، ويوسف إدريس هنا يشترك مع مجموعة من الكتاب المصريين والعرب الكبار الذين خلدوا وجسدوا فضاء الحارة في أعمالهم الأدبية، كنجيب محفوظ ويوسف السباعي وإبراهيم أصلان، لما لها من خصوصيات ومميزات تعكس نمط الحياة في البيئة الشعبية التي تتخللها الطبقات الشعبية التي تتفاعل فيما بينها بتلقائية وعفوية وحركية قل نظيرها في الفضاءات الأخرى. وتتحرك شخصيات هذه القصة في شارع مزدحم من شوارع الحارة، وتبرز شاعرية هذا الفضاء باعتباره تجسيدا للبنيات المجتمعية وما يتخللها من تفاوتات طبقية تعكس ملامح المجتمع المصري، فالطفلة الفقيرة تائهة في طور الشارع العريض المزدحم بالسيارات الممتلئ بالتناقضات الخاضع لمعيار الاختلال التي عبرت هذه القصة بأسلوبها المميز.

يتميز أسلوب يوسف إدريس في هذه القصة بالنزوع إلى البساطة والإيحاء والميل إلى الإيجاز والتركيز والبعد عن الاستطراد والاقتصاد في الوصف، بالإضافة إلى توظيف مجموعة من الصور البيانية، وقد اختص الوصف برصد أهم السمات الخارجية للطفلة، ذلك بالتركيز على صفاتها الخارجية: (المظهر، اللباس، الهيئة، الملامح، الأفعال والتصرفات)، بينما نجد غيابا للوصف الداخلي المباشر المركز على المشاعر والأحاسيس والأفكار، لكنه رغم ذلك حضر مضمرا بشكل خفي من خلال الإيحاءات التي كنا نترصدها في أقوال الطفلة وأفعالها وتصرفاتها.

هكذا نستخلص من نهاية التحليل أن يوسف إدريس برع في سبك عمله الفني الذي جسد واقعا مليئا بالتناقضات يعج بالصراع والتوتر والاختلال بين طبقات اجتماعية مختلفة ومتفاوتة في القيمة وفي نمط القيم والأفكار، إنه واقع يعج بالسلبيات التي حاول الكاتب استحضارها والتفاعل مع مظاهرها

وخفاياها من أجل نظرة مستقبلية تسعى إلى اصلاح واقعها، هذا كله عولج في قالب تخييلي محكم البناء في مكوناته وعناصره الفنية.

2- تحليل القصة" بيت من لحم" [12]

" بيت من لحم" قصة قصيرة للكاتب يوسف إدريس تطرق قضية اجتماعية مسكوت عنها، وهي منتشرة في الطبقة الفقيرة وسكان العشوائيات في المجتمع، الفئة الكادحة الذي أصبح الفقر والحرمان قدرها والذي يتولد عنه العديد من المآسي والمشاكل الاجتماعية، وقد قدمت هذه القصة واحدة من تلك المآسي دون أن يكون للكاتب فيها دور المنصح أو المرشد في عرض هذه المشكلة، ولكنه أتقن تصويرها فنيا وأدبيا، حتى تقرع النفوس ويكون لها تأثير عميق في ذهن القارئ، وهذا دور الأدب والفن عموما حين يعكس الحياة بثوبه المؤثر.

جو القصة : تبدأ القصة بوصف المكان، المكان الذي تدور فيه أحداث القصة بحدث معين، هو الحدث الذي انتهت إليه بطلات القصة، وهو تبادل الأدوار في لبس الخاتم كل ليلة. الخاتم بجوار المصباح، الصمت يحل فتعمي الآذان، وفي الصمت تتسلل الأصبع يضع الخاتم، في صمت أيضاَ يطفئ المصباح، والظلام يعم، في الظلام أيضا تعمى العيون. وهنا نجد امرأة شابة في الخامسة والثلاثين، لديها ثلاث بنات في سن الشباب، مات عنهن الرجل الوحيد الذي استمر مرضه سنتين، فأطبق الصمت على البيت وتمر أيامهن في انتظار وأمل، لعلّ أحد يأتي خاطبا إحدى الفتيات، وكل واحدة منهن تنتظر نصيبها، ووسط هذا الصمت، صوت واحد يقطعه شاب مقرئ، يأتي كل يوم عصر من يوم الجمعة، يقرأ الآيات على روح الفقيد، وبعد فترة من الزمن الصامت، تقرر الفتيات أنه يجب على إحداهن أن تتزوج هذا الشاب الأعمى، وينتهي النقاش بينهن إلى اتفاق على أن أمهن هي من ستتزوجه، ليجلب إلى البيت الحظ والنصيب، وتبدأ البهجة والضحكات والنكات إلى البيت، وزاد عدد الأنفس نفساَ، إلا أن الصمت يعود ويصبح سيد الموقف أيضا إلى النهاية، بعد أن تقرر الفتيات أن يكن لهن نصيب في هذا الأعمى، وبصمت تتواطئ الأم في قبول هذا الحال، تضحية منها ورأفة في بناتها الجائعات أبدا، وبصمت أيضا يستمر الأعمى في العيش معهن، مقنعا نفسه أنه أعمى، وليس على الأعمى حرج.

المكان هو حجرة ضيقة، فقيرة جدا، ولكنها مرتبة بلمسات الإناث، مصباح واحد، وهو يعادل الرجل الواحد الذي سيكون في البيت، وبينهما تضاد، الإنارة والعميُ، ولكنه يطفأ كل ليلة ليتساوي عمي المكان مع عمي المقرئ. ويتحد مع عمي الضمير أيضاَ. وهنا يلف المكان الصمت والعمي

والظلام. "الزمان" غير محدد، فعادة لا يحدد الزمان في القصة القصيرة، وقضية هذه الحكاية ممتدة عبر الزمن، فهي اجتماعية لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات عبر الزمن.

كان الصمت هو بداية صمت الحزن والانتظار، صمت الفقر، والحاجة، ويأتي صوت الأعمى ليخترق جدار الصمت، ولكن تلاوته أصبحت أشبه بالصمت لأنّ القلوب لم تعد تأبه لها، وينقطع الصمت مرة أخرى عند زواج الأم بالكفيف، ويمتلئ البيت بالنكات والضحك وغناء الشاب لأم كلثوم وعبدالوهاب، ويتسلل الصمت مرة أخرى حين تتحول غصة الأم إلى صمت ابنتها الوسطى، ومن لحظتها لم يغادرها الصمت ليصبح أبديا، صمت الفجيعة والانكسار، ويسيطر الصمت على الوسطى، ليكون في هذه الحالة لإخفاء خطيئتها وهكذا يغشي الصمت تدريجيا جميع الفتيات حين يشاركن في لعبة الخاتم، ويبقى الكفيف وحده وسط هذا الصمت رغبة تجعله يثور على الصمت، فهو يريد أن يتيقن مما يشك فيه. ولكن الصمت يقف أمامه ويسأل نفسه ماذا لو تكلم الصمت، تساؤل جعله يلوذ بالصمت تماما، ولكنه خوف أن يخدش ذلك الصمت. فأصبح الصمت إرادي لا سبب له سوى الرذيلة، النتيجة الحتمية للفقر والحرمان، والقبح واليأس، الصمت المتفق عليه، التواطؤ مع الصمت ذاته ليؤكد له أن من معه هي حلاله، ويحل العمي مرة أخرى في نهاية القصة ليصبح تعاميا من الجميع. ويعود الكاتب للمقدمة من جديد في حلقة مفرغة تشبه حركة الخاتم وهي ذاتها حركة المجتمع الذي يدور في حلقة مفرغة من الفقر والحرمان والجهل، والذي لا يصل إلى حل إنما يلف حول المشكلة ويكررها، وتلف حوله المشكلة، والصمت المسيطر على نقاض البيت هو ذاته المتربع على أنقاض الضمير في المجتمع، صمت متفق عليه. ويقفل الكاتب قصته بسؤال مفتوح يترك إجابته للقارئ . هل على الأعمى حرج ؟

الصمت وهو صانع الحدث، والذي تكرر خلال النص بدلالات مختلفة، تتبدل أدواره من خلال السياق والأحداث. فهو صمت الحزن بسبب موت الزوج وانتظار الأزواج. وصمت يقطعه الصمت وهو صوت المقرئ الذي يصبح وسط الصمت صمتا. وصمت منفي: انقطاع الصمت بعد زواج الأم. وصمت مطبق اختياري متفق عليه يخشى خدشه بعد ممارسة الخطيئة.

القضايا الاجتماعية عند غلام عباس

نبذة عن حياة الكاتب

ولد غلام عباس في ١٧ نوفمبر١٩٠٩م في أمرتسر، الهند. لقد حصل على تعليميه الابتدائي

من لاهور. ومن سنه المبكر وجد نفسه مسؤولاً عن رفاهية أسرته بعد وفاة والده المفاجئة. وبدأ حياته المهنية ككاتب في عام١٩٢٥م. بدأ بكتابة القصص والقصائد للأطفال التي تم نشرها في شكل كتاب من دار الإشاعت. كما ترجم القصص من اللغات الأجنبية إلى الأردية. في عام ١٩٢٨م ، بدأ العمل كمحرر مساعد مع إمتياز علي تاج في مجلته (پھول) و (تھذيب نسوں). في عام ١٩٣٨م، انضم إلى All India Radio. بعد تقسيم الهند، هاجر إلى باكستان وعمل لراديو باكستان. في عام ١٩٤٩م١، انضم إلى وزارة الإعلام والإذاعة وعمل كمدير مساعد للعلاقات العامة. في عام ١٩٤٩م، انضم إلى بي بي سي في لندن وعمل كمنتج برامج. في عام ١٩٥٢م، عاد إلى باكستان ، وتوفي في عام ١٩٨٢م في كراتشي، السندھ. [13].

كان غلام عباس كاتب قصة قصيرة، وكان تأثيره في كتابة القصة القصيرة طويلًا وعميقًا. في قصصه القصيرة، غالبًا يكشف عن أوجه القصور والضعف والنفاق لدى البشر ،ولقد كان معجبًا كبيرًا بتقاليد الروسية في القصة القصيرة. كتب قصصا تؤكد الحقائق الصارخة للحياة البشرية. فمن قصصه القصيرة "أنندي" و"أوركوت" اكتسبت شهرة عالمية. "جاڑے کی چاندنی" و"کن رس" كتابان شهيران يحتويان على قصص قصيرة رائعة[14].

أسلوبه

تمثل اللغة ركيزة أساسية في العمل الأدبي ، وهي وسيلة الاتصال بين عناصره. فإليها يلجاء القاصون لنقل مشاعرهم وما يعتمر داخل نفوسهم ونفوس أمتهم إلى الجمهور. يستخدم غلام عباس اللغة الفصيحة البسيطة ، المعبرة عن أحاسيسه في قصصه القصيرة، قادرة على إيصال المعنى إلى المتلقي. كانت كافة عن طبيعة الشخصيات ومستواها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. لقد اعتمد القاص السرد بشكل مباشر وبضمير الغائب، وكان الفعل الماضي ذا حضور كبير في بناء جمله. وقد امتازت لغته بقدرتها التعبيرية عن الشخصيات تجري على ألسنتها بصورة طبيعية غير متكلفة[15]. لقد أشار غلام عبّاس فِي قصصه إِلى القضايا العديدة، مثل الفقر، والخداعة، والخيانة، والرشوة وغيرها. وهنا نشير إِلى البعض منها. مثل:

الفقر:

الفقر آفة من الآفات الاجتماعية، لازم الإنسان منذ فجر التاريخ، هذه الآفة من مشكلات الحياة الأساسية التي يعاني منها المجتمع الهندي وغيره من المجتمعات، وللفقر من الآثار السلبية على الفرد

والمجتمع ما لا تحمد عقباه. والفقير هو الذي لا يتوفر له حد الكفاية، ومن ثم لا يستطيع تلبية احتياجاته الريئسية، التي لا يستغنى عنها إنسان، ومن هنا تعد آثار الفقر من أشد الأخطار التي تواجهها المجتمعات.

قضية الفقر هذه نجدها في قصة (كتبة[16]) هذه القصة تعكس قضايا المجتمع الهندي وهموم الناس المختلفة، وتشير إلى فضاء الفقر والبؤس الذي شاع في المجتمع الهندي. كما نرى في قصته بأنّ شريف حسين موظف الدرجة الثانية، يذهب إلى مكتبه بالحافلة في الأسبوع الأول لكل شهر، مرة أراد بالذهاب إلى سوق بخس الذي يقوم على سلم المسجد الكبير في المدينة، ويجتمع فيه الناس ويشترون الملابس، والأحذية، والأدوات المنزلية والأغذية بأسعار رخيصة. تجوّل شريف حسين في السوق وأعجب به قطعة صغيرة من الرخام، فاضطر إلى أن يشتريها، فلما رجع إلى بيته و أخذ يفكر في استعمالها، فجأة لمح فكرة في ذهنه بأن يعمل ليلاً ونهاراً بجهد كبير للحصول على التقدم حتى يبني بيتا جديدا له ، ويرسم اسمه على قطعة الرخام وينصبها على بابه. لكنه ما نجح في تكميل أحلامه حتى مات. وبعد موته نصب ابنه تلك القطعة على قبره.

يحلم الإنسان في هذه الحياة أحلاما كثيرة، ويسعى إلى تحقيقها، وتتفاوت هذه الأحلام وتلك الأمنيات بتفاوت الأشخاص زماناً ومكاناً، ولم تتحقق هذه الأحلام وهم يزورون المقابر.

تشير هذه القصة إلى الطبقة السفلى التي تقضي حياتها الكاملة في تكميل أمنية صغيرة لكنها خسرت... سوق رخيص مزدحم بالناس يدل على الفقر والبؤس.

الخيانة:

هي الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحرم، وتملك ما يستودع، ومجاحدة مودعه، أي أكل المال أو استعماله أو أخذه أو عدم احتفاظه الذي يؤتمن عليه الإنسان، المهم أنه لا يؤدي الأمانة فيها. والخيانة ذنبٌ كبير، حرمه الله وشدد عليه في القرآن مرارًا. وكذلك وردت بتحريمه الأحاديث الصحيحة.

وكذلك تشير القصة (بحران)[17] إلى خيانة وخداعة العمال وعدم أداء واجباتهم ونقص الأمانة، مثلا كثيرا من العمال يملأون ظروفهم (بسيمنت) بعد الغداء ويأخذونه إلى بيوتهم، كما يختفي الحداد أسلاك الحديد، والنجار يخرب الخشب عند صنع الأبواب والشباك وكذلك يأخذه إلى بيته، والحارس يقصر في عمله ولا يخبره عن غياب العمال. فقصة تشير إلى فساد المجتمع واضطرابه واعتلاله.

التسوّل:

ظاهرة التسوّل من الظواهر المنتشرة في كثير من المجتمعات، وهي من الظواهر السلبية وتعكس صورة سيئة وغير مقبولة لتلك المجتمعات، والتسوّل هو طلب المال والطعام من عامة الناس. فالمتسوّل يرى في طلب المساعدة من الآخرين حلا لمشاكله المالية، ويعتبر أن التسوّل هو الطريقة المناسبة لطلب الرزق وأن يمد يده للآخرين بحجة بأنه لا يملك نقودا.

ويَستخدمُ المتسوّلون أشكالاً مُختلفةً للقيام بالتسوّل، ويتّخذون كثيراً من الطرق والحيل للحصولِ على المال ويتفنّنون في ذلك، ومن هذه الأشكال:

إظهارُ الحاجة الماسّة للناس عبر البكاء، وانتحالُ بعضِ الأمراض والعاهات غير الحقيقية عبر الخداع والتّمويه؛ وطلبُ التّبرعات؛ لأجلِ مشروعٍ خيري كبناءِ المساجد أو المدارس ونحوها، وادّعاء الشخص إصابته بالخلل العقليّ عبر التلفّظ بعباراتٍ غير مفهومة أو التلويح بإشاراتٍ مُبهمة.

أشار القاص في قصة (دو تماشے [18]) إلى المتسوّل العجوز الذي جاء إلى سيارة "مرزا" مع بنت صغيرة ومّد يده إليه وطلب المال للطعام. وكذلك في قصة (بحران) جاءت امرأة إلى العمّال وقصت لهم عن فقرها وسوء حالها، وبكت وطلبت منهم المساعدة. فالتسوّل ظاهرة عالمية وهي منتشرة في كل بلدان العالم، وهذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة تهدد المجتمع، كما أن فيها إهدار لكرامة الإنسانية أمام الناس ،وللتسوّل أسباب عدّة، منها: ازدياد الفقر والجوع في المجتمعات؛ وازدياد نسب البطالة لدى الشّباب؛ ضعف التوكّل على الله والثّقة برزقه؛ تفضيلُ بعضِ النّاس الراحة والكسل على العمل والنشاط، ممّا يدعوهم للتسوّل باعتبارها حِرفةً مُريحة ومُجدية وغيره.

الكذب:

كان "چاند خان "كادحا في مكتبه، و أراد أن يبني له بيتا، فبدأ الصداقة بينه وبين مهندس و كان يقدم له الشاي والقهوة والتدخين وكذلك يخبره عن أسرار كبار الموظيفين،كمكافأة وعد المهندس لبناء منزله عارية، وبدأ عمله لكن قبل تكميله انتهت مواد البناء والفلوس عند جاند خان، فأرسل رسالة إلى أخيه الذي يعيش في المدينة ويكسب مالا كافيا بأنه في المستشفى وأصيب بمرض شديد وإن يريد حياة أخيه فأرسل إليه فلوسا لعلاجه وإزالة المرض.

الرشوة:

البيت هو المكان الذي ينظر إليه الإنسان كمأوى له ولأفراد أسرته وجميع من يعيشوا معه. وكل واحد يريد أن يكون له منزل بطبيعته، يعيش فيه بالأمن والسلام والراحة. وعندما يجد الفرصة في حياته يدفع إليه الحنين والشوق ويحاول لتكميل أمنيته حتى يعرف بين الناس صاحب الدار أو صاحب البيت. تقصي قصة (بحران) صورة البروفيسر الذي يعيش في منزل الأجير، واجتهد طول حياته وقضى حياته في أمنية البيت، حتى جاء وقت مناسب وأراد لبناء منزله فعين مهندسا ماهرا لبنائه، لكنه أخذ نقودا وفرّ. غلب الحزن على البروفيسر وأخذ يبحث عن مهندس آخر. وكذلك عين العمال للعمل وأدرك فيهم رجلا محنكا وخبيرا فعينه المراقب على الآخرين على رواتب إضافية، ومع ذلك استمر العمل ببطء شديد. وقد بلغ الأخبار إلى البروفيسر من الحارس والآخرين أنه بعد تعينه ترك عمله، وكذلك يعين العمّال الذين يؤتونه الربع من رواتبه كرشوة، والذين لا يقدمون له الرشوة ويرفضونه لا يجدون الفرصة للعمل، وذلك العمّال لا يعملون بجهد وشوق. وكذلك حصل على المعلومات بأنه يبيع مواد البناء، فألغاه البروفسير وتوقف عمل البناء [19]. لقد طرح القاص قضية الرشوة من خلال قصته ورسم صورة موظف المرتشى. والذي يقدم له رشوة من الموظفين يحظ بالعمل.

الرشوة من الآفات الاجتماعية الخطيرة، تنتشر في المجتمعات، وهي متوافرة عند كثير من مرض النفوس فمن خلالها يصل الإنسان إلى مآربه وأهدافه، وهي ترتبط بالفساد ارتباطا وثيقا، فبها تهضم حقوق الأخرين وبها تلغى قاعدة الرجل المناسب في المكان المناسب.

تدور أحداث هذه القصة في البادية الهندية حيث يصور لنا القاص أدق التفاصيل للمعاناة التي عاشها. لقد قدم القاص في هذه القصة قضية اجتماعية إنسانية ولها آثارها السلبية على المجتمع، وكان شخوص قصته من واقع البيئة الهندية.

لقد مال محمد عباس إلى القضايا الاجتماعية لا الفردية في طرح الموضوعات ولا يعمد إلى تخصيص الحدث والمكان والزمان بل تتوالد الأحداث، وقد اعتمد على عنصر التشويق ومنها غرابة الفكر والحدث وجمال اللغة والأسلوب والوصف الدقيق وسرد الحدث في غير ملل ولا إطناب، وقدرة التصوير، وتشابك الحوادث وتفاعل الشخصيات. وكذلك اعتمد على اللغة الفصحى ووضوح الأفكار ودقة المعلومات في أعماله القصصية حتى في الحوار[20].

الرياء والتصنع والتظاهر:

الرياء ظاهرة من الظواهر السلبية وهي طلب المنزلة في قلوب الناس بإرائهم خصال الخير.

يصف القاص في قصة (دو تماشے) صورة "مرزا" الذي يظاهر بملابسه وهيئته رجلا غنيا، عندما جاء إليه فقير عجوز وطلب منه المساعدة والفلوس لشراء الطعام، فرفضه بسخط وغضب، وبعد أيام يرى فيلم في (سينما)، فيه موظف اتهم على مساعدة السارقين وقبض عليه عقوبة لخمس سنوات، ماتت زوجته، وابنه الصغير يعيش مع جدته. وبعد قليل انتهى النقود وكذلك أخرجهما صاحب البيت لعدم دفع الإيجار. فيؤلم هذا المنظر "مرزا" ويبكي. هذه قصة تشير إلى عدم التواضع للنّاس، والقيام بالأعمال من أجل النّاس أو خوفاً منهم، وإلى رغبة الفرد في الظهور والشهرة وتعرّف عليه، وإلى مخالفة الأعمال الظاهرة ما تكون مخفية في النوايا الباطنية، بقصد الحصول على ثناء النّاس وحمدهم وإعجابهم، وإلى محاولة العبد أن يحسّن من نفسه أمام الناس.

الدراسة المقارنة بين قصصهما

أوجه التشابه:

- يعد كلاهما من روائد القصة القصيرة في أدبهما.
- هما ناقشا المجتمع وأشارا إلى معاناته ومشكلاته.
- الإنسان هو الموضوع الكبير لقصصهما.
- كلاهما أشارا إلى الصراع الاجتماعي بين الطبقة الغنية والفقيرة، وقدم صورة البيئة وهموم الناس.
- استقى شخصياتهما القصصية من الواقع المعاش ووصفاها من حيث أبعادها الفيسيولوجي، والسوسيولوجي، والسيكولوجي.
- لقد كان بناء الأحداث وطريقة عرضها منطقيا بحيث أوصل القاص الفكرة الأساسية إلى المتلقي بكل سهولة ويسر.
- عند الوصف ركز كلاهما على الصفات الخارجية مثل: المظهر، واللباس، والهيئة، والملامح، والأفعال والتصرفات.

أوجه الاختلاف:

- تناول غلام عباس العديد من القضايا الاجتماعية والمشكلات التي يعاني منها المجتمع الهندي، ومعظم قصصه تدور حول هذه الأحوال.

- ومن خلال دراسة القصة القصيرة في الهند في البداية من القرن العشرين نجد أنّ الواقع كان مصدرا غنيا لأحداث كثيرة من قصص هذا العقد. حيث استمد عدد كبير من القاصين أحداث قصصهم من هذا الواقع. ركز محمد عباس اهتمامه على الواقع، وعلى الإنسان، ومشكلاته، وقضاياه، وابتعد عن الموضوعات التي تقوم على الخيال.
- رسم غلام عباس صورة واقعية للطبقة المتوسطة في قصصه.
- وتعكس قصصه وعي الإنسان بمعاناته اليومية وتكشف مواطن الخلل في العلاقات الإنسانية في مجتمع التحول بالإمارات.
- استخدم غلام عباس أسلوب ضمير الغائب.
- تعكس قصص يوسف إدريس ملامح المجتمع المصري.
- يتميز أسلوب يوسف إدريس في هذه القصة بالنزوع إلى البساطة والإيحاء والميل إلى الإيجاز والتركيز والبعد عن الاستطراد بالإضافة إلى توظيف مجموعة من الصور البيانية.
- يوجد غياب للوصف الداخلي المباشر المركز على المشاعر والأحاسيس والأفكار في قصصه.
- سعى يوسف إدريس إلى إصلاح الواقع في القالب التخييلي.
- جنح إدريس إلى استخدام العامية في قصصه، واستخدم أسلوب الحوار في قصصه.

النتائج:

- يعتبر يوسف إدريس ومحمد عباس من أشهر كتّاب القصة القصيرة في الأدبين (العربي، والأدري).
- تناول يوسف إدريس وغلام عباس العديد من القضايا الاجتماعية والمشكلات التي يعاني منها المجتمع المصري والهندي.
- تميزت قصصهما بالحديث عن الفلاحين والفقراء والعاملين والموظفين الصغار والأطفال والمراهقين.
- تقدم هذه القصص جانبا من جوانب القهر والفقر والحرمان الذي تعيشه الطبقات الفقيرة في مصر وشبه القارة الهندية.
- هذه القصص هي تركيب فني تتقابل مجموعة من القيم والأفكار والمواقف والوضعيات.

- يتميز أسلوبهما في هذه القصص بالنزوع إلى البساطة والإيحاء والميل إلى الإيجاز والتركيز والتعبير المميز والبعد عن الاستطراد والاقتصاد في الوصف، بالإضافة إلى توظيف مجموعة من الصور البيانية.
- يشير إلى العديد من المآسي والمشاكل الاجتماعية، والتناقضات والصراعات بين طبقات اجتماعية مختلفة ومتفاوتة في القيم والأفكار.
- انتقى الكاتبان شخصيات عمله من تلك الطبقة السفلى التي تواجه صراعا دائما من أجل إثبات وجودها وإبراز مكانتها في المجتمع.
- وقد وظف يوسف إدريس وغلام عباس فضاء الحارة في أعمالهم الأدبية باعتباره فضاء مفتوحا، مولدا لتوترات الأحداث ومنشأ لتصادم الرغبات.

الهوامش

[1] – ابن منظور، لسان العرب، (دار صادر – بيروت، 2010م)، ج/9، ص.120

[2] – فيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (شركة مكتبة ومطبعة، مصطفى البابي الحلبي- مصر، 1952م)، ط/2، مادة (قصّ).

[3] – البستاني، فؤاد أفرام، (دائرة المعارف، بيروت -1969م)، مادة (قص).

[4] – الركيبي، عبد الله، القصة الجزائرية القصيرة، (دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009م)، ص133.

[5] – انظر: مكي، الطاهر، القصة قصيرة، (دار المعارف، القاهرة، 1992م)، ط/6، ص 96 وبعده.

[6] – أنظر: نساج، سيد حامد، تطور فن القصة القصيرة في مصر، (دار المعارف، القاهرة، 1984م)، ط/3، ص 37 وبعده.

[7] – انظر: يوسف، محسن، القصة في الوطن العربي، (المنشاة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا، 1975م)، ص14.

[8] – انظر: أبو عوف، عبد الرحمن، يوسف إدريس وعالمه في القصة القصيرة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م)، ص 102.

[9] – فاروق، عبد المعطي، يوسف إدريس بين القصة والإبداع الأدبي، (دار الكتب العالمية، بيروت، 1992م)، ط/1، ص202.

[10] – الشاروني، يوسف، دراسات في الأدب العربي المعاصر، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1964م)، ص 224.

[11] – إدريس، يوسف، أرخص ليالي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1945م).

[12] – إدريس، يوسف، القصص القصيرة، (دار الشروق، القاهرة، 1990م)، ط/1.

[13] – سويامانے ياسر، غلام عباس سوانح اور فن كا تحقيقي جائزة، (سنگ ميل پبلي كيشنز لاهور، 1995م)، ص 189.

[14] – منظر، شهزاد، غلام عباس ايک مطالعة، (مغربي پاكستان اردو اكيڈمی، لاهور، 1991م)، ص 73.

[15] – انظر: عباس، غلام، افسانه ميرى نظر ميں، (مطبوعة هم قلم كراچی، 1961م)، ص 9، 10.

[16] – انظر: منظر، شهزاد، غلام عباس كے دس بهترين افسانے، (لاهور، تخليقات 1997م)، ص 59.

[17] – فاروقي، طاهر منصور، ترتيب وانتخاب، "غلام عباس كے بے مثال افسانے" (الحمد پبلي كيشنز، لاهور، 2018م)، ص 284.

[18] – فاروقي، طاهر منصور، ترتيب وانتخاب، "غلام عباس كے بے مثال افسانے، ص 260.

[19] – انظر: بخاري، علمدار حسين، اردو افسانے كى روايات ميں غلام عباس كا مقام، (ملتان بهاء الدين ذكريا يونيورسٹي،2000م)، ص 339.

[20] – انظر: سديد، انور، اردو أدب كى مختصر تاريخ، (مقتدرة، قومي زبان، إسلام أباد)، ص 154.